هكذا تكلَّم زارادشت

لن أتحدث عن كتاب / هكذا تكلم زارادشت / للفيلسوف الألماني / فريدريك نيتشه /1/ بل سأتحدث عما جاء به (زارادشت) نفسه لأن /نيتشه/ في كتابه آنف الذكر كان أولى به أن يسميه (هكذا تكلم نيتشه) لأنه استعار بعقله الباطن شخص (زارادشت) فقال:/أي نيتشه/ بالشر لا الخير ما أراد هو.. لا ما أراد (زارادشت)، فجاء كتابه بمثابة قصيدة مطولة ركَّز فيها على الفرد من النخبة الذي يتفوق على إنسانيته. كما طمح /نيتشه/ إلى مجتمعٍ يسود فيه المتفوقون./2/ مجتمعٍ يقضي فيه الأقوى على الأضعف حتى يقف في النهاية المنتصر الأخير منتحراً بقوته وعنفه..كما انتحر إله (نيتشه) برحمته/3/. وسنورد ذلك بالتفصيل حين حديثنا عنه.. وإذا ما استعرضنا كتب التاريخ، تبدت لنا شخصيات كثيرة خرجت عن مسار التاريخ لتدخل في فلك الأسطورة لأن العقل البدئي، والنقل الشفاهي قد أَضْفَيا على هذه الشخصيات عناصر (ميثولوجية) لا تمتُّ إليها بصلة؛ إذ كلما وقعوا على غريبة أو عجيبة نسبوها إليها فما بالكم إذا وصلنا هذا التراكم الكمِّيُّ العفويُّ الشَّفويُّ بعد تشويهٍ مقصودٍ من قبل مناوئي هذه الشخصيات أو بعد تشويه غير مقصود أو بعد تضخيمٍ مبالغٍ فيه على يد محبيها وأتباعها أو على يد كاتبٍ رمى بالأمانة العلمية

obeikandl.com

والتاريخية جانباً؟ لحظتئذٍ، ستغدو تلك السِّير كالموجة العرضيَّة التي تكبر وتكبر كلما ابتعدت عن مركز انطلاقها كبرت الدائرة واتّسعت علينا أن نتفق منذ البدء على مسلَّمةٍ أساسيةٍ هي: أن نفرِّق في أكثر الأحايين بين الأصل وبين ما وصل.

فإذا كان شكسبير/**Shakespeare**/(1) الذي عاش حتى بداية القرن السابع عشر/ م/ قد أنكر بعضهم وجوده وعزوا مؤلَّفاته الرائعات إلى بعضٍ من أهم رجالات عصره أمثال: (فرانسوا بيكون وكريستوفر مارلو) وغيرهما/4/ فماذا سيحل إذاً بشخصيةٍ كشخصية (زارادشت) عاشت قبل الميلاد بستة أو خمسة قرونٍ على الأقل؟ ولما للزمن من أهميةٍ قصوى فقد أضافه (أينشتاين)/5/ بعداً رابعاً إلى الأبعاد الثلاثة الطول والعرض والارتفاع.

مدخل

(ياولد غمِّض عينيك ولا تعدّ نجوم السّما..بعدين بيطلع بأيديك وبوجهك تواليل)...بجملة (لغة العامة) هذه كانت أمي تؤنبني ـ يوم كنت صغيراً حين تراني مستلقياً على الفراش أعد نجوم السماء ليلاً..شأني في ذلك شأن جلِّ أترابي. وكنت أنصاع للأمر- طوعاً مرةً وكرهاً أخرى- خوفاً على نضارة وجهي آنذاك يوم كنت أجهل السبب الذي من أجله كانت تريد مني والدتي أن أنام فور الاستلقاء.لكني بعد أن كبرت.. استقرأت هذه الظاهرة الاجتماعية فاستنتجت أموراً شتى. أدناها: أن أنام باكراً لأستيقظ باكراً. وأسماها: أن لا يتعدى تفكيري سقف طفولتي خوفاً من أن يحلق خيالي بين النجوم سابحاً في الفراغ والسديم. وكانت أمي ترضى بشكلانية إغماض عينيَّ لقناعتها بأن ذلك هو صمام الأمان الوحيد لإبقائي في دائرة الطفولة. لكنها لم تدرك ما كان يرتسم في مخيلتي بعد إغماض عينيَّ إذ لم يكن إغماضهما سوى فاصلٍ واصلٍ. فاصل يفصلني عن الحسيِّ المدرَك وواصل يصلني باللاحسيِّ اللامدرَك لأرى ببصيرتي ما لايمكن أن أرى ببصري. أي بعين العقل كما تحدث عنها الفارابي في رسالته (مشكاة الأنوار). هكذا الإنسان. شوق دائم لمعرفة الماحَوْلَ وتوق دائب لاستكناه الماوراء والمافوق على الرغم من أنه لا يعرف حتى عن

---

(1) كاتب مسرحي إنكليزي (1514 -1616م).

نفسه سوى النذر اليسير ((وفي أنفسكم أفلا تبصرون)) قرآن كريم. هذا التوق والتطلع الماورائي أقضَّ مضجع (زارادشت) كيف لا وهو كائن غائي هديٌّ. فانفجرت في أعماقه الأسئلة تترى. من؟ ماذا؟ لماذا؟ كيف؟ أيان؟ أين؟ من أين؟ إلى أين؟؟؟. لم تدعه مطارق التساؤلات يهدأ لحظةً واحدة أينما حلَّ وحيثما رحل. والعلم خزائن مفتاحها السؤال، إذ لولا سؤال /نيوتن/ عن سبب سقوط التفاحة نحو الأسفل وإلحاحه في معرفة السبب لما اكتشف الجاذبية.

فَلاب (زارادشت) يبحث عن لغز الكينونة والصيرورة. ولأنَّ اللغز قصور معرفيٌّ فإن السَّعي لحلِّ هذا اللغز قد أرهقه / نَفْسدِيَّاً /(لخ) فاعتصر قلبَه الأسى والألم وكيف لا؟ والألم ينبع من إحساس الذات بذاتها وجوداً خاصاً في هذا العالم. فاعتزل الناس وصخَب الحياة وهو في الثلاثين من العمر ويمَّم وجهه شطر جبل (سابلان) لعله يستطيع حلَّ لغز هذا الكون. والإنسان من حيث يدري ومن حيث لايدري ليس خارجاً عن الكون بل حاملٌ للكون في ذاته /6/ ثم اتسعت دائرة أسئلته أكثر، فلاب انفلاشاً في ممدودات المطلق باحثاً عما وراء المنظور والمرئيّ لعله يهتدي بفطرته السليمة إلى موجد هذا الكون. وتحضرني هنا قصيدة للشاعر / كسينوفانيس (7) يقول فيها: (لو أن للثيران أو الأسود أو الخيل أيادي تستطيع بها رسم ونحت التماثيل كالبشر، لخلقت على صورتها آلهتهاوغدت آلهة الخيل خيلاً وآلهة البقر بقراً) إلا أن "زارادشت" بسموه الإنساني وشبحه الروحاني وحساسيته إلى درجةٍ فاقت المألوف والمعروف والموصوف وتمثُّعه كمونياً بقدرات خارقة، استطاع أن يسمع من صمت الطبيعة غناءها ويرى في سكونها وحركتها، لأن كل شيءٍ ولو كان ساكناً فهو بالنسبة له ولأمثاله ناطق من حيث الدلالة. فشخْصَنَ (السيبرنيطيقيا = ماوراء المدرَك الحسيِّ) وتكشَّف له الواقع الخارجي على الرغم من أن "شانكار" (8) قد أنكر أن تكون معرفة الحواس قادرةً على الكشف عن الواقع الخارجي كما هو في ذاته. ولم يكن يسامر (زارادشت) في عزلته سوى الطبيعة وتعاقب الليل والنهار عليه بين كل عشيةٍ وضحاها.وذات يومٍ، وهو في لحظةٍ

---

(1) نفسياً وجسدياً.

من لحظات انتقاله من التخيُّل إلى التذهُّن (9)، أدرك فجأةً سرَّ الليل والنهار، وبالتالي كنه الظلمة والنور.. عندها اهتدى إلى ضالته المنشودة.. إلى المعلومة الأسِّ الذي لاب في حضنها طويلاً.. إلى "أهورامزدا " رب "زارادشت" إلى النور الذي يفيض منه كل نور(10) إلى الجميل الجليل حتى كمال الكمال.

الفرس قبل مجيىء زارادشت

كان الفرس /11/ قبل مجيء (زارادشت) طوطميين /12/ يعبدون الحيوان ومظاهر الطبيعة وأرواح السلف أيضاً. كما سمُّوا الشمس (عين الله) والضوء (ابن الله) واتخذوا (النار) رمزاً للضوء، وبعبارة أخرى رمزاً لإله الخير فأشعلوها في معابدهم /13/ وكانوا يعبدون كثيراً من الأرواح الخيرة، لكن (زارادشت) وحَّدها في عبادة (أهورامزدا) وكذلك فعل بقوى الشر، إذ وحَّدها في واحد (دروج أهريمان)، **وأهم الآلهة التي عبدوها:**

1. الإلهة (مترا) إلهة الشمس: وقد أخذها الرومان عنهم فيما بعد (وتوصف بأنها الحارسة للمراعي اليقظة التي لا تنام) /15/.
2. الإلهة (أنيتا) إلهة الأرض والخصب والنماء.
3. الإله (هوما) الثور المقدس الذي مات ثم بُعث حياً، ووهب البشر دمه شراباً ليسبغ عليهم نعمة الخلود/16/.

ولأن التعاليم في الأزمنة الغابرة كما يقول (جوزيف باركلي) في كتابه (حكمة الأديان الحيَّة) من واجبات الكهنوت، فإن الكهنوت الفرس هم الذين كانوا الأوصياء على العامة من الفرس حتى إن (سبنسر) قال: (إن العلم والأدب بدأ بهم) = أي (بالكهنوت)/17/.

زارادشت مولداً واسماً: ولد زارادشت في (أذربيجان) بإيران /18/[لخ] وإيران تعني بلاد الآريين (19). والتشابه واضح بين اللفظتين وبذا يكون "زارادشت" من الجنس الآري/20/.

---

(1) إيران (من الآريين) وبعضهم يقول نسبةً إلى أحد ملوك إيران ومعنى آري ـ شريف، نبيل، مقدس.

كما يقال بأن كلمة إيران تعني بلد العادلين الأتقياء وهم يفخرون بهذا الاسم كثيراً.ويذكرون أن زارادشت من نسل (كيوميرت) الذي يعني في الشاهنامة (الإنسان الأول المخلوق من الطين = يعني آدم).، وهو أول من تكلم الفارسية كما يزعمون. أرجع بعضهم مولد (زارادشت) إلى أقدم الأزمنة من / ستة آلاف سنة حتى ستمئة ألف سنة ق. م/ وفي اعتقادي إن زارادشت لم يكن موجوداً قبل / سنة ألفين ق.م/21/ ، وموضوع وجوده شكَّ به الكثيرون وكان موضع جدل طويل بين النافين والمثبتين. ولكن /جاكسن **Jackson**/ في كتابه / حياة زارادشت / أكد وجوده كما أكد وجوده الكثيرون، وجلُّ من كتبوا عنه قد رجَّحوا أنه ولد ما بين القرنين السابع والسادس ق.م/ 22/ وقد عرف في المصادر الأجنبية باسم (زاراسترا) /23/ ثم ذكروا اسمه في العهود المتأخرة باسم (زاراتشت) فنطقها العرب بالتخفيف بإبدال ((التاء دالاً)) فأصبحت (زارادشت) /24/ ومعنى الكلمة (زاراس = يعذب) و(استرا= الجمل) ـ (معذِّب الجمل) لأنهم في القديم كانوا يطلقون اسم الطفل على أول عملٍ يقوم به/25/. ويعتبر القرن السادس قبل الميلاد من أجدر عصور التاريخ بالملاحظة. ففي كل مكانٍ به كانت عقول الناس تظهر جرأةً جديدةً و(في كل مكان) كان الناس يستيقظون مما ران عليهم من تقاليد الأباطرة والكهَّان والقرابين، ويسألون أشدَّ الأسئلة عمقاً ونفاذاً وكأنما الجنس البشري قد بلغ مرحلةً من الرشد بعد طفولةٍ دامت عشرين ألف سنة/26/.

الخوارق التي تزامنت مع مولده

لفَّ التاريخ أسطورة /27/ مولد وحياة (زارادشت) بل حتى قبل مولده أيضاً. فلقد قيل: إنَّ أمَّه حملت به حملاً إلهياً قدسياً.فالملك الذي كان يرعاه تسرَّب إلى نبات (الهَوْما)[1] وانتقل مع عصارته إلى جسم كاهنٍ يدعى (يورشاسبا) يعني أبوه، وفي الوقت نفسه دخل شعاعٌ من أشعة العظمة السماوية إلى صدر فتاة عريقة النسب

---

(1) الهوما شرابٌ مسكر يُعصر من نبات ينمو في فارس على رؤوس الجبال لم يحرم وإنما كان يقدم قرباناً للآلهة. ويقال (هوما = سوما)

اسمها (دغذوفا) /28/(أمه فيما بعد) وتزوج الكاهن بالفتاة فامتزج الملاك بالشعاع ووُلِدَ (زارادشت) من هذا المزيج /29/.

ولقد جاء في المصادر البهلوية أن أمه أثناء حملها به رأت في منامها سحابةً سوداء أحاطت بها وخرجت منها مخلوقات مخيفة انتزعت من رحمها ابنها وهمَّت بقتله، فلما صرخت وبكت ناداها ابنها من بين أيديهم: لا تخافي ولا تحزني لأن الله يكلؤني ويرعاني. ثم هبط من السماء نورٌ مزَّق السحابة إرْباً إرباً واختفت المخلوقات المخيفة وبرز من النور طيف شابٍ نوراني بيده هراوة من نورٍ أعاد الطفل إلى أمه قائلاً: لن يمسَّ طفلك الضرُّ يوماً لأن الله بذاته حاميه. ثم بشَّرها بأنه سيكون له شأنٌ كبيرٌ في المستقبل لأنه سيصبح نبي(أهورامزدا). ويوم ولد (زارادشت) لم يك باكياً بل ضحك عالياً بصوتٍ جهوريٍّ فغمر البيت نورٌ سماويٌّ وفرَّت الأرواح الخبيثة. وصلت هذه الخوارق التي تزامنت مع مولده سمْعَ الملك الساحر / دُرُسْرام/30 / فصمم على قتله والخلاص منه كي لا ينازعه الملك مستقبلاً فأحضره بواسطة ثلاثة سحرة، ولم يكد يهمُّ بقتله حتى شلَّت يده، فأمر بإلقائه في النار فكانت النار برداً وسلاماً عليه/31/. ثم أمر برميه في ممر البقر الضيق فأحاطت به بقرة أبعدت عنه القطيع. ولما بلغ السابعة من العمر مرض فأحضر له أبوه السحرة لتطبيبه، فرمى بالدواء الذي قدموه له أرضاً، لأنه أدرك ببصيرته أنهم قدموا له السمَّ بدل الدواء ليتخلصوا منه /32/ وبعد أن شفي أرسله أبوه مع الحكيم الإيرانيِّ المشهور آنذاك (بورزين كوروس)/33/ ليتمدرس على يديه ويتدرج في مراقي المعرفة فرافقه مدة ثمانية أعوام تعلم منه خلالها الشيء الكثير، ثم ارتدى القميص المقدس وتمنطق بحزامٍ رمزاً للتعميد وتطوَّع للدفاع عن الوطن ضد أعدائه الطورانيين /34/ فصار يعالج المرضى والجرحى من الجنود /35/: ـ بدأيدعو القبائل إلى أن يكونوا شعباً واحداً وأن يسعوا إلى إصلاح الزراعة. ـ كبرأكثر فصار يتحلل شيئاً فشيئاً من عادات مجتمعه وهو مازال عزَبَاً، فأصر على أن لا يرى وجه المرأة التي سيتزوجها فقط... بل عليه أن يتحدث معها ليتعرفها قبل عقد القِران عليها/36/ وكل هذه مؤشرات تدل على تفتُّح وعيه ونضوج أفكاره ونظرته لحاضره آنذاك بعين المستقبل فتزوج على هذا الأساس ثلاث نساء /37/.

نبوَّة زارادشت

تقول الأساطير الفارسية: إن النبوة نزلت على "جمشيد" ملك الفرس لكنه لم يستطع حملها فحملها زارادشت فكان الله يكلمه وينزِّل الوحي عليه[لخ] (38) ويضيف المؤرخون المحدثون إلى زارادشت من صنوف الإجلال وضروب التقديس ما كانوا يسمون به إلى منزلة موسى وعيسى عليهما السلام (39).ولقد تضاربت الآراء حول نبوَّته.. (فجوزيف كاير) إعتبره موحِّداً كأخناتون المصري وبعض المستشرقين اعتبروه مصلحاً (40)، وبعضهم اعتبروه نبيَّاً (41) مجدِّداً لدين إبراهيم (42) ولو لم يُذكر اسمه في القرآن الكريم إستناداً إلى الآيات القرآنية الكريمة التالية:{ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك فمنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك}.. {وما من أمة إلا خلا فيها نذير}..{وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولا}.. وهكذا. والقرآن الكريم لم يذكر سوى أربعة وعشرين نبياً منهم من هو نبيٌّ ومنهم من هو رسول (43).

فأنبياء بني إسرائيل المتقدمون والمتأخرون لم يُذكروا جميعاً في القرآن الكريم وإنما أشار إليهم تعالى بقوله {ويقتلون الأنبياء بغير حق}. ومنهم من أنكر نبوَّته كأبي حيان التوحيدي في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) (44) ولسنا بصدد إقرار نبوته أو نفيها لأن ذلك ليس هدف موضوعنا،لكننا سنورد ما قاله عن نفسه أو بالأحرى ما قيل عنه. كان "زارادشت" على حافة نهر ديتي المقدس. وفي لحظةٍ من لحظات التطهير النفسي اقترب منه النورانيِّ " فوهومناه "كبير الملائكة وهو كما وصف بحجم الإنسان تسع مرات وطلب من "زارادشت" أن يخلع ملابسه لأنه سيعرج به إلى السماء ليسمع بنفسه تعاليم "أهورامزدا" ففعل وصعد به " فوهومناه"إلى "أهورامزدا" ومثل "زارادشت" أمامه، وهنا كانت نقلته النوعية. إذ انتقل من كينونة الصحو التشخيصي الجسداني إلى صيرورة المحو التجريديِّ الصمداني.ولفت نظرَه أن لا ظلَّ له نتيجة النور المنبعث من /أهورامزدا/ فأيقن لحظتئذٍ أنه أمام نورٍ إلهيٍّ(45) فلُقِّنَ وهو في الحضرة الإلهية الأفكار الأساسية للدين الجديد. كما اطلع على الرموز

---

(1) يستشف من هذا الطلب بأنه نبيٌّ ورسول.

الخفية والأسرار العلوية. وما أن عاد "زارادشت" من عند "أهورامزدا" حتى هبَّ يعظ الناس بالدين الجديد الذي **يعتمد على أربعة عناصر:**

- اعبدْ أهورامزدا.
- مجِّدْ الملائكة.
- العن (أهريمان = الشيطان) وسيأتي تعريفه فيما بعد.
- تزوَّجْ أقرب قريباتك (46).

وإذ ما حللنا هذه العناصر الأربعة وجدنا أنها لا تصلح أسَّاً لدينٍ جديد ينظم أحوال الناس وسبل معاشهم ولهذا فشل زرادشت في المرحلة الأولى من مراحل دعوته فعاش وحيداً تبريه الفاقة ويضنيه العوَز حتى أُرهق من أمره عسراً، فأحجم عن طلب التزوُّج بأقرب القريبات وصار يدعو الناس إلى فعل الخير والتمسُّك بالعدل، فاستجاب لدعوته حاكم "سيستيان" من حيث العدل والإنصاف ولعن "أهريمان" فقط لكنه لم يعتنق دينه، فلاذ "زرادشت" "بأهورامزدا" يناديه ويناجيه إذ عزَّ عليه أن يرى نفسه وحيداً بعد مرور عشر سنين على دعوته.ولم يؤمن به سوى ابن عمه "ميتيوماه"(47) لكنه خلال السنين العشر التي مرت شاهد خلالها ستَّ رؤىً جديدةً وكل واحدةٍ من هذه الرؤى كانت تتمُّ على يد كبير الملائكة لتزويده بمعلومات جديدة. فالملاك "آشا" مثلاً أوصاه بالرفق بالحيوانات النافقة(48) فأصدر عقوبةً على كل من يسيء إلى الحيوان. وبهذا يكون إذا جاز التعبير أول أو من أوائل مؤسسي جمعية الرفق بالحيوان. وكل هذه الرؤى كانت تأتيه شتاءً.. لانشغاله بنشر الدين صيفاً. أدرك الكهَنة سوءَ مآلهم إنْ بقي "زارادشت" يطعن بمعتقداتهم، فرَجوا الطبقة الحاكمة أن يبعدوه عن البلاد، فاستجاب الحكام لطلبهم ونفوه، وبنفيه ضاقت به الدنيا بما رحبت إذ كلما قرع باباً ليسأل أهله حاجةً ما، أوصد الباب في وجهه، فاتجه إلى "أهورامزدا" سائلاً إياه {**إلى أين أهرب يا أهورامزدا؟ وإلى أي البلاد سآوي؟.. انصرف النبلاء والعظماء عني.. ولم يع عامة الشعب قولي.. حتى هؤلاء الأفَّاكون حكَّام البلاد**}. ثم يضيف قائلاً: {**أرشدني ياأهورامزدا(49) كيف أحظى برضاك وكيف أظفر بهداك؟ إياك أدعو يا إله الخير وإياك أستصرخ يا مبعث النور. فامنحني التوفيق والعون..أرشدني**

إلى الصراط المستقيم.. وكن عوني على نجاحي في رسالتي.. وعلى تنفيذ مابه أمرتني} (50) وعلى الرغم من كل ذلك لم ييأس، إذ أدرك في ظلمات اليأس بارقةً من أمل.. ولمح في دجى القنوط قبساً من رجاء، إلى أن استطاع أخيراً أن يصل إلى بلاط الملك "كُشتاسب"(51) آملاً أن يستجيب لدعوته فيشتدَّ به عضُده، ويجد فيه السَّند المرجوَّ لنشر دعوته. لن أعرِّج على الغرائب التي أحدثها عند الوصول إليه (52) لكن دعونا نرى ما حدث معه فور وصوله إلى مقر الملك"كُشتاسب" أو"فشتاسبا". كان "كُشتاسب" قد سمع بـ "زارادشت" فتهيَّأ لملاقاته ودعا إلى قصره أكثر من ستين حكيماً وفيلسوفاً وما أن مثل / زارادشت/ بين يدي الملك حتى طلب منه الملك معجزةً تؤكِّد نبوَّته، فطلب "زارادشت" من الملك أن يوعز لرجاله أن يصبُّوا على صدره المعدن المذاب ففعلوا ذلك أكثر من مرَّة، ولم يُصبْ "زارادشت" بأي أذىً. ثم أعقب ذلك نقاش حادٌّ جرى بينه وبين الفلاسفة والحكماء كانت فيه الغلبة والنصر المؤزَّر لزارادشت، فدهِش الملك من حكمته وحنكته ونفاذ بصيرته وأعجب به أيَّما إعجاب.لكنه استمهله في عملية الإيمان به قائلاً له:إن اتخاذ قرارٍ سريعٍ في مثل هذه المسائل الدقيقة أمرٌ غير مستحب، بيد أنه أسكنه بيتاً بجانب قصره تكريماً له فقامت قيامة أعدائه وحسَّاده وبدأوا يحيكون الدسائس للإيقاع بينه وبين الملك إلى أن استطاعواأن يصلوا إلى خادم بيته وفعلوا فعلتهم إذ قدَّموا له رشوةً لقاء أن يضع في بيت / زارادشت/ رؤوس قطط وكلاب وبعض أدوات سحرٍ أخرى فوافق. ولما كان "زارادشت" يجلس بجانب الملك اقترب من الملك أحد الكهَّان وهمس في أذنه قائلاً: إن هذا الذي يدَّعي النبوَّة ماهو إلا ساحرٌ كذَّاب وإنَّ أدوات السحر تملأ بيته. ورجا الملك أن يتأكد من صدق حديثه من خلال تفتيش بيته، فأرسل الملك بعض جنوده إلى بيت زارادشت ليتأكد من صحة الخبر فيعود الجنود ومعهم رؤوس قططٍ وكلاب وأدوات سحرٍ أخرجوها من تحت فراشه.غضب الملك من زارادشت غضباً شديداً وأمر أن يُكبَّل بالحديد ويرمى في السجن فوراً. وصادف بعد فترة أن مرض فرس الملك المحبب إلى قلبه جداً فأحضر له الأطباء المهرة والسحرة فلم يفلحوا في علاجه فحزن الملك عليه أيما حزن. بلغ ذلك النبأ سمع زارادشت فأرسل إلى الملك رسالةً يعلمه فيها أنه يستطيع أن يشفي الفرس من

المرض المزمن، فاستدعاه الملك وقبل أن يشرع في إبراء الفرس **اشترط عليه شروطاً أربعة:**

1. أن يؤمن بأنه رسولٌ من عند أهورامزدا.
2. أن تعتنق الملكة الدين الجديد.
3. أن يقوم /اسفنديار/ ـ ابن الملك ـ بنشر الدين الجديد ولو بحد السيف (53)
4. أن يحقق الملك مع خادم بيت زارادشت فيما فعل بعد أن يأتمنه على حياته. رضي الملك بالشروط الأربعة.وأبرأ زارادشت الفرس فطار صواب الملك فرحاً وبدأ بتنفيذ تلك الشروط. من حينها انتشرت "الزارادشتية" انتشاراً واسعاً(54)وكما كان مولد زارادشت رهناً للتاريخسطورة فإن موته كان رهنها أيضاً؛ فلقد ذكر "وول ديورانت" في كتابه / قصة الحضارة/ [أن وميض برقٍ أحرقه ثم صعد به إلى السماء](55)، وقال آخرون: إنه لمَّا كان في معبد النار- بصحبة ثمانين من الكهنة ـ يدعون "أهورامزدا" لإنقاذ شعبهم في حروبه المقدسة ضدَّ الطورانيين اجتاح الطورانيون المعبد.. بعد دخولهم بلاد فارس وطعنه الطوراني "براتفاركش" في ظهره ثم قتل الجنود الطورانيون بقية الكهنة ومات وهو في السابع والسبعين من عمره(56) بعد نبوةٍ دامت خمساً وثلاثين سنة كما يقول بطرس البستاني في دائرة معارفه.

نهاية الزارادشتية

اضمحلت الزارادشتية شيئاً فشيئاً بعد غزو الاسكندر بلادَ فارس عام /330 ق.م/ وإحراقه كتابهم "الأبسْتاق"(57) إذ لم يكن يوجد منه سوى نسختين "أحرقت الأولى والثانية أعدمها إلا بعضها (58).

ثم انتعشت الزارادشتية في عهد الأسرة الساسانية (59) على يد "أردشير" أول ملوك الفرس الساسانيين ثم على يد الملك "شاهبور" الثاني إذ كان الساسانيون كما تقول "الشاهنامة" مولعين بجمع أخبار أسلافهم وترتيبها. ثم قضي عليها أو كاد بعد الفتح الإسلامي لإيران بعد انتصار المسلمين على الفرس في معركتي "القادسية ـ636/ م" ثم معركة "نهاوند ـ641/ م".

شيءٌ عن أهورامزدا وأهريمان والأبستاق: (أهورامزدا) كلمة مكونة من مقاطع ثلاثة [هو ـ أنا] [راـ الوجود] [مزداـ الخالق] أي: أنا خالق الوجود. وهو ربُّ "زارادشت". أما وصفه كما نُقل إلينا فهو كالتالي: نور تفيض منه الأنوار كلها ومنه يصدر الخير أيضاً. عالم الغيب والشهادة أزليٌّ أبديٌّ قادر على كل شيء، منزَّهٌ عن كل نقص، يرى ولا يُرى، لم يلد ولم يولد ولن يموت، يساعده ستة ملائكة قدِّيسون(60) خالدون فاض الواحد منهم عن الآخر. أي إن "أهورامزدا" لم يخلق سوى كبيرهم/ فوهومناه/ فقط. ومن الجدير بالذكر أن "أهورامزدا" كان يُقدَّس في إيران قبل مجيء "زارادشت" إذ عُثر على اسمه في منقوشات الأخمينيين (61) لكن "زارادشت" كما تقول موسوعة لاروس الفرنسية وحَّد كلَّ الآلهة التي كان يعبدها الفرس في واحد هو "أهورامزدا". وإذا عثر على اسم "أهورامزدا" في منقوشات الأخمينيين فإن "زارادشت" لم يُعثر عليه في أي نقش(62). أما: أهريمان والكلمة تعني (الخبيث = القوى الخفية = الشيطان) فمنه تصدر الظلمة ويصدر الشر والجهل والمرض والرذيلة والغضب والقحط والسحر والحشرات الضارة والزواحف السامة المؤذية، ومنه تصدر كل مساوىء العالم يعمل في العالم السفلي تساعده شياطين من جنسه لا حصر لها. ألقى بكل ثقله أمام "أهورامزدا"(63). وباختصار فإن "الزارادشتية"تقوم على ثنائية الصراع في العالم بين النور والظلمة والخير والشر، بين الفضيلة والرذيلة، بين أهورامزدا وأهريمان. ومن هنا شبَّهها بعضهم بالمانوية (64) إلا أن هذا التشبيه ليس صحيحاً لأن (تيولوجيا) الزارادشتية ليست ثنائية بالمعنى الدقيق للعبارة كما يقول ميرسيا ايلياد.طالما أن /أهورامزدا/ ليس مواجهاً بضدٍّ الإله. والزارادشتية والمانوية وإن تشابهتا في المظهر.. إلا أنهما مختلفتان في الجوهر. صحيح أن الديانتين تحدَّثتا عن النور والظلمة، وعن الخير والشر إلا أن الخير والشر في

المانوية أزليان أبديَّان بعكس الزارادشتية إذ أن الشر غير أزلي ولا ابدي لأن أهريمان سينكسر في النهاية أمام أهورامزدا المالك وحده يوم الحق. ناهيك عن أنه لا يوجد في الزارادشتية إلهان بل قوتان متصارعتان(65) كما أن زارادشت قد حرَّم على أتباعه الصوم وحلَّل النسل للدفاع عن البلاد بينما حرم "ماني" على أتباعه النسل ودعا إلى الزهد ،ولهذا قال (براون) عن المانوية (أن تعدَّ المانوية زارادشتية منصَّرة أقرب من أن تعدَّها نصرانية مُزَرْدشة). وإن العالم الذي يسيطر عليه (أهورامزدا) في الزارادشية هو روحاني بينما هو في المانوية ماديٌّ/66/.

الأبستاق: وهو كتاب الزارادشتيين المقدَّس/67/ وتقول الشاهنامة/68/ (حفظتِ الأبستاقَ ـ كالتوراة ـ روايات أمة قديمة).

وثلاثة أرباع الأبستاق فُقد ومن النصوص التي حُوفظ عليها (الجاتاس) وهي سبع عشرة ترنيمة. ومعنى (الجاتاس) = (الغناء أو الإنشاد) وهو أكثر أجزاء الأبستاق قداسةً، وعلى الأرجح أنه مؤلَّفٌ من قِبل (زارادشت) /69/. وتزعم بعض الأساطير أن الأبستاق هو (صحف إبراهيم وموسى) لكن الهنود يعتقدون أنه مأخوذ من كتابهم المقدس (الفيدا) وتعني المعرفة/70/. ولقد اكتشفه العلاَّمة الفرنسي(أنكوتيل دوبرون) إذ عثر في مكتبة (بودليان)على مخطوطةٍ تحتوي على بعض أجزاء (الأبستاق) ولما زار الهند عاد ببعض الأجزاء أيضاً /71/ (والأبستاق = الأفِستا) كلمة أطلقها على هذا الكتاب علماء المجوس /72/ الذين جمعوا تعاليم وأدعية(زارادشت) أما العامة فسمَّوه بـ(الزمزمة أي/ الكلمة الحية) وكلمة الأبستاق ترجمة عربية لكلمة (الأفستا) ومعناها: المتن.. الشرح.. الأصل. ويتألف من خمسة أقسام /73/ ثم لحق بالأبستاق ـ الأفستا /الزند. و(الزند تعني تفسير المتن أو الأصل) ثم وضع علماء المجوس المتأخرون فيما بعد تفسيراً أو شرحاً للتفسير سموه (بازند = تفسير التفسير). ولقد استفاد اليهود من هذا الشكل الذي لحق بالأبستاق كثيراً فطبَّقوا ذلك على تلمودهم الذي كتبه حاخاماتهم إذ قسموه إلى قسمين (مشناه = المتن أو الأصل) (والجمارا = شرح المتن أو شرح الأصل). ثم أضافوا إلى الشرح شرحاً آخر،ثم أضافوا إلى شرح الشرح شرحاً آخر ثم إلى شرح الشرح شرحاً آخر وهكذا

دواليك حتى يبقى تلمودهم متنفَّساً لهم يعاصرون من خلاله كل (زمكان) يكون فيه اليهود خدمة لمصالحهم.

بمثل هذا تكلم زارادشت

بعد اكتمال رؤى (زارادشت) الست/74/ ـ كما نوَّهنا آنفاً ـ تطوَّرت مبادئه تطوُّراً نوعيَّاً فطالب أتباعه بالنظافة من كل دنس وحرَّم عليهم من جملة ماحرَّم البكاء والمناحات والرِّبا واللِّواط والزِّنى، إذ إن (زارادشت) لمَّا سأل (أهورامزدا) عن السبب الذي يؤلمه أشدَّ الألم أجابه (أهورامزدا): إنها الزانية يا زارادشت، الحق أقول: إن أمثال هؤلاء المخلوقات يجب أن تقتل /75/. وقال في (الأبستاق) عن اللواط: (اللواط لا يمحوه شيء أبداً). وجعل الكفر أم الخطايا /76/ فقال (ملعونٌ أول من اتَّخذ صنماً)/77/. كما تحدث عن الروح لكنه لم يحدِّد ما هويَّتها/78/ ثم تحدث عن الملائكة(لخ) إذ إن كل إنسان خُصَّ بملاك. وهذا يذكِّرنا بالآية الكريمة (ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد) / 18/ وكما تحدث عن الموت والبعث ومن ثم الحساب وعن الصراط أيضاً. ولئن اعتبر (لوكريش) الخوف من الموت هو أول أمهات الآلهة/79/ فإن زارادشت اعتبره من عمل الشيطان وعلى أهالي الموتى أن لا يدفنوا موتاهم في التراب كما يفعل اليونان ولا أن يحرقوهم كما يفعل الهنود، بل يجب أن تُعرض جثثهم لتلتهمها الطيور والكلاب الجارحة حتى لا يُدنِّس الميتُ الترابَ أو النار لأنهما عنصران مقدَّسان عند (زارادشت) /80/. والمرء مهما يعمَر لا بد أن يطاله الموت /81/ لأن (أستيواد = أي قابض الأرواح) يأتي متخفِّياً إلى كل إنسان لا يعظِّم شخصاً ويهلك الكل بلا رحمة. ولقد حاول (دهاق /الفارسي) البحث عن الخلود والخلاص من استيواد فطاف شرقاً وغرباً لكنه لم يعثر عليه /82/. أما الحساب فإن الناس سيحاسبون جميعاً لأن كل امرئٍ قد خصَّه (أهورامزدا) بملاك يحصي له أعماله/83/ ويوم يبعث الموتى تعود الحياة إلى أجسادهم /84/ ثم يقف

---

(1) الملائكة عنده ذكور وإناث:الذكور التفكير الطيب ـ الحق الأسمى ـ العمل الطيب.والإناث ـ الفداء ـ الخلود ـ التقوى.انظر زارادشت الحكيم لحامد عبد القادر ص45، وموسوعة لاروس ج 20 زورواستر.

(أهورامزدا) ليهلك يوم الحق /أهريمان/85/ ويحاسب الناس بنفسه فيَزِن أعمالهم بميزانٍ فمن رجحت سيئاته على حسناته يضيق (الصراط الذي يسميه زارادشت جسر الفرز) تحت رجليه حتى يصير كحدِّ السيف فيهوي إلى جهنَّم = (ترتاروس دانتي). ومن رجحت حسناته على سيئاته مشى على جسر الفرز = الصراط] ثابت الخطا مع الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنزن/86/. ولقد أخبر أتباعه بأنه سيعبر معهم (الصراط) فقال في(اليسنا) (سأعبر معكم جسر الفرز)/87/. كما أعلمنا عن منطقة ما بين الجنة والنار (مثل لينبوس دانتي) و(أعراف الإسلام) يقف فيها من تساوت حسنا تهم مع سيئاتهم وينتظرون دخول الجنة /88/. ولا يوجد في (الزارادشية) أمثال وأقوال وربما كان مرد ذلك إلى اتلاف كتبها والقضاء عليها على يد من أزاح (الزارادشية) وحل محلها /89/. و(للزارادشية) أيضاً أبحاث فيما وراء المادة ولكن لم يكن بحثهم فيها شاملاً كالذي كان عند اليونان إنما كان بحثاً جزئياً متفرقاً /90/. ولئن كان لبعض المهن في عصرنا قَسَم فلقد كان (للزارادشية) أيضاً قسم، وقَسَمُها هو (لن أقدم على سلب أو نهب أو تخريب أو تدمير ولن آخذ بالثأر أبداً وأقرّ بأني أعبد (أهورامزدا) واعتنق دين (زارادشت) وأنا ملتزم بالعمل الطيب فكراً وقولاً وعملاً) والزارادشتية.. لا تطالب الزارادشتي أن يكون طيباً في فكره وقوله وعمله فقط بل تطالبه أيضاً أن يجعل من (العدو صديقاً.. ومن الخبيث طيباً.. ومن الجاهل عالماً...).

كما قدست الزارادشيتة (الماء والهواء والتراب والنار)/91/ وأولت الزراعة عناية بالغة إذ نقرأ في (الونديداد) مايلي: (إن من يبذر الحب يبذر القدسية إنه يجعل من ناموس (مزدا) ينمو ويزداد رفعة وعلوا. إنه يجعل جاهداً ناموس (مزدا) يخضر ويزدهر، إن عمله هذا يساوي مئة عمل من أعمال محبة الله الخالق وعبادته ويعدل ألف عمل من أعمال الابتكار والإبداع وعشرة آلاف عمل من أعمال التضحية. وحينما ينمو الشعير تنزعج الشياطين وحينما يخرج الحب يغشى على الشياطين. وحينما يظهر القمح تهلك الشياطين وحينئذ لا يستطيعون الإقامة في البيت لأن البيت الذي يدخله القمح تخرج منه الشياطين مذمومة مدحورة كأنما تكوى حلوقها بحديد محمّى أحمر) /92/. كما كان للمرأة دور هام في مبادئه إذ طالب أتباعه

بمنحها كامل حقوقها وبخاصة على الصعيد الاقتصادي فأباح لها امتلاك العقارات ومشاركة زوجها في أكثر أعماله. وتلعب الأغنية دوراً هاماً في عقيدته واسم الجنة عنده (بيت الغناء) /93/. ويرتدي أتباعه عند سن البلوغ (مريولاً) يرمز إلى الدين (الزارادشتي) كما يرتدي الكهنة أردية بيضاء ويضعون على رؤوسهم عمامة وعلى فمهم نقابا أثناء تأديتهم لبعض الطقوس كيلا يدنسوا النار بأنفاسهم الملوثة /94/. كما كان لهم صلوات خمس في معبد النار صبحاً وظهراً وعصراً وليلاً وسحراً... ولهم أيضاً صلوات أخرى في المناسبات والأعياد /95/. لقد وعدت (الزارادشية) الصالحين بأن العالم يقترب من نهايته المحتومة التي طولها إثنا عشر ألف سنة تبدأ منذ يوم ولادة (زارادشت) /96/. ومما يسجل للفرس أنه من العسير أن تجد في تاريخهم فارسيا... قد استؤجر ليحارب الفرس، في حين أن اليونان كانوا يُسْتَأجَرون. ولما حارب (اسكندر المقدوني) الفرس كانت فرق المشاة الفارسية كلها أو جلها من المرتزقة اليونان. ولذا فقد حث (ديموستين) اليونانيين الذين يستأجرون المرتزقة لمحاربة الفرس في خطبة (الفيلبيات) على تشكيل جيش قوامه أبناء البلاد ـ الذين يستأجرون ـ لأنه لا يدافع عن البلاد بإيمان إلا أصحاب البلاد /98/.

لقد حقق الفرس بفضل (زارادشت) قفزتهم النوعية لأنه كان نقطة مضيئة في تاريخهم، ولئن ظهر في عام /1822/ قانون (مارتن) الذي ينعتونه بأنه أول قانون أقر حماية الحيوان، ثم ظهر في عام /1824/ أقدم جمعية للرفق بالحيوان أسسها خمسة رجال فإن (زارادشت) قد نادى بالرفق بالحيوان ليس قبلهم فقط بل قبل الهندي (ريني) الذي نادى بالرفق بالحيوان أيضاً في القرن الثالث قبل الميلاد /99/. ولئن اعترف السهروردي الصوفي مؤسس مدرسة الفلسفة الأشراقية بأنه استقى بعض نظرياته من (زارادشت) وفلسفة (أفلاطون) فضلا عن (أفلوطين)/100/. فإن اليونان من قبل السهروردي قد كرموا (زارادشت) وأقروا بأنهم مدينون له بالكثير لاستعارة كل من (أفلاطون) و(فيثاغورث) و(هيرودت) بعضاً من أفكاره، منها هو أن (أفلاطون) (يعتقد بأن الكون صادر عن مبدأين احدهما ـ سام عاقل حر حكيم هو الله ـ والثاني هو المادة المضطربة. فالله نظمها ولكنها تمردت فخرج العالم ناقصاً

طافحا بالشر. ومن هنا نرى بأن (زارادشت) لم يكن نقطة مضيئة في تاريخ/101/ الفرس فقط بل كان بذرة طيبة آتت أكلها حتى خارج منبتها.

وقفة أخيرة

من يقرأ كتاب/د. عبد الحفيظ السطلي/102/ بعنوان (أمية بن أبي الصلت) يجد أربعة آراء قدمها المؤلف حول الذين كتبوا عن شعر أمية هذا:

الأول: لم يتخذ بعضهم رأياً فصلاً في شعره هل هو موثق أم موضوع كالمستشرَقيْن (شولهيتس) و(بور).

الثاني: أن شعر أمية الديني فقط موضوع بكامله ويمثله المستشرق (تورأندراي).

الثالث: أن شعر أمية من أوله إلى أخره موضوع ويمثله المفكر العربي د. (طه حسين) وبعض المستشرقين أيضاً.

والرابع: وهو الأخطر والذي يؤكد بأن شعره موثق كله حسب رأي المستشرق (كليمان هوار) ولم يكن حديثه كلمة حق أريد بها باطل، بل كلمة باطل أريد بها أبْطَل لأنه يريد أن يقول: (إن شعر أمية بن أبي الصلت) هو المصدر الأساسي لكتابة (القرآن الكريم) لما في شعره من إشارات واضحات لفحوى بعض الآيات. كما يجد القارىء بين صفحات الكتاب رداً لمؤلف الكتاب على كل من الأب (لويس شيخو) و(جورجي زيدان) حول مِلَّة أمية مُخْضِعاً شعر أمية للدراسة والتمحيص مُثبِتاً بعضه ورافضاً تثبيت بعضه الآخر لأنه منحول وموضوع ودخيل عليه، لأن هذا الجزء من الشعر كتب بعد الإسلام لا قبله. والذي أريد قوله في هذا الصدد: إن بعض المستشرقين أمثال(كليمان هوار) الذين تَقَوّلوا أن شعر أمية هذا هو المصدر الأساسي لكتابه القرآن الكريم قد زاغوا وراغوا وضلوا لكنهم ما استطاعوا أن يُضِلّوا فلئن قال (أمية بن أبي الصلت) في أحد أشعاره:

يوقف الناس للحساب جميعاً فشقي معذب وسعيد

فهذا لا يعنى بحال من الأحوال بأن معنى الآيتين الكريمتين التاليتين:

(يوم تسود وجوه وتبيض وجوه) و(وأما من ثقلت موازينه فهو في عيشه راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) لا يعنى أن معناهما مأخوذ من معنى البيت السابق. وإضافة إلى ما أورده (د. السطلي) في كتابه بأن هذا الشاعر وأمثاله من الأحناف مثل (ورقة بن نوفل) و(زيد بن عمرو) وآخرون... قد تألّهوا وطلبوا الدين الحنيف مؤمنين ببعض ما بقي من دين إبراهيم.. وأضيفُ ملحوظة هنا إلى أنَّ يشر المؤلف من قريب أو بعيد إلى أن هذا الشعر وأمثاله قد تأثر بتأثيرات أمم خلت ولعل (الزارادشية) كانت إحداها لأن (الزارادشتية) كما رأينا تحدثت عن اليوم الآخر والثواب والعقاب وذلك حسب اتباع المرء لكل من (أهورامزدا وأهريمان) ناهيك عن أن بلاد فارس تكاد تكون متاخمة لجزيرة العرب.

والكتاب الثاني لـ (الياس سعد غالي) بعنوان (رسالة الغفران والكوميديا الإلهية) في لمحات تاريخية، إذ يورد المؤلف (غالي) في كتابه سيلاً من أسماء الباحثين العرب الذين تأثروا بنظرية المستشرق الأسباني (أسين بلا سيوس)/103/، الذي كان أول من نبَّه إلى أن (دانتي الليجيري) قد تأثر في كوميدياه الإلهية بمصادر عربية إسلامية وبخاصة قصة (الإسراء والمعراج) و(رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري /104/، كما تأثر بالفتوحات المكية لابن عربي في فصل (كيمياء السعادة). نقول: حتى لو أن (دانتي) قد أخذ فكرة كوميدياه الإلهية عن أبي العلاء ـ وهذا ما نفاه المؤلف ـ فإن ذلك لا ينقص من روعة الكوميديا الإلهية لأن الاستعارات الثقافية ليست عاراً، كما أن هناك فرقاً كبيراً بين النقل والتأثر، وبالمقابل لا ينقص من شاعرية فيلسوفنا العظيم أبي العلاء سواء أتأثر (دانتي) به أم بغيره ممن سبقوه. نقول: دون أن يكون ذلك انتقاصاً مما أورده (بلاسيوس) ومن دار في فلكه، إن (دانتي) ـ الذي لم يعترف في كوميدياه سوى ل (فيرجيل) أستاذاً له ـ لا بد أن يكون هو أيضاً قد تأثر ـ بالإضافة إلى التراث الإسلامي ـ بتأثيرات أمم خلت ك (الزارادشية) مثلاً. لكني لم أجد في الكتب التي قرأتها ما يشير إلى ذلك، ففي كتاب د. صلاح فاضل بعنوان (تأثير الثقافات الإسلامية في الكوميديا الإلهية) نقرأ مايلي: (والمستشرق الفرنسي الأستاذ بلوشيه كان أول من أشار إلى أن أصل الكوميديا الإلهية إسلامي، والتمسه من التراث الفارسي في رسالة بهلوية عن رحلة قام بها زاهد زارادشتي يدعى (أرتاك فيراز)

إلى العالم الغيبي حيث رأى مشاهد الثواب والعقاب بما ورد في كتاب (دانتي)، لكنه عجز عن إثبات ذلك حتى جاء (آسين بلا سيوس). ويضيف أيضاً: وآخر بحث جاء في هذا الموضوع هو كتاب للدكتور (رجاء جبر) صدر عام /1977/ بعنوان (ابن سينا وسنائي ودانتي) إذ تناول فيه علاقة الكوميديا الإلهية بالمصادر الشرقية التي عالجت العالم الغيبي علاجاً فلسفياً صوفياً وبخاصة منظومة (سير العباد إلى المعاد) للشاعر الفارسي (سنائي الغزنوي)/105/ المتأثرة بدورها برسالة (حي بن يقظان) لابن سينا. على أن هذه الخطوة قد سبق أن تقدم بها المستشرق الإنكليزي (أرنولد نيكلسون) في بحث نشره عام /1943/ بمجلة (الجمعية الملكية الآسيوية) بعنوان (رائد فارسي) لـ (دانتي) هذا ناهيك عن أن (دانتي) كان لديه نَهَمٌ شديد للمعرفة حيث يقول في (جزء الجحيم) حسن عثمان عنه في ترجمته للكوميديا الإلهية وهو الجزء الأول /106/ (عكف ـ أي دانتي ـ على دراسة القانون والطب والموسيقى والتصوير والنحت والفلسفة والطبيعة والكيمياء والفلك والسياسة والتاريخ واللاهوت ودرس أدباء اللاتين). ثم نقرأ في (المطهر)/107/ وهو الجزء الثاني مايلي: (ولم يكن دانتي أول من تناول في الكوميديا الإلهية عالم ما بعد الحياة ـ أي الموت ـ فلقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية من أقدم العصور في أقطار شاسعة امتدت من سيبريا إلى الصين والهند وبابل ومصر وسوريا وفارس واليونان وروما).

ثم يضيف قائلا: (فأوزوريس عند المصريين يزن أعمال الناس، وفي الديانة البابلية تهبط عشتروت إلى الجحيم، وفي ديانة فارس ـ جحيم ومطهر وفردوس ـ ثم يقول في الفردوس وهو الجزء الثالث /108/: (و يقال إن الفردوس لفظ مأخوذ عن اللغة الفارسية والفردوس تعبير عن سعي الإنسان إلى بلوغ السعادة)، ونيل العدالة التي لا تتحقق في هذه الدنيا. وكلمة الفردوس تعنى حديقة أو روضة أو مرجاً يسوده ربيع دائم مزدهر وتشع في أرجائه الأنغام العذبة. ألا توحي هذه اللمحات التي ذكرناها والتي يصل بعضها إلى حد التصريح بأن (دانتي) قد تأثر أيضاً (بالزارادشتية) في كوميدياه الإلهية؟ ولعل ما قلناه ينطبق أيضاً على كل من (ملتون الإنكليزي) في فردوسه المفقود وعلى (كريستوفرمارلو) ـ الإنكليزي و(غوته ـ الألماني) في مسرحيتهما بعنوان (فاوست) التي تجسد عمل الشيطان. حتى أن ما طرحناه ينطبق على أبي العلاء نفسه.

فهو إضافة إلى تأثره بقصة الإسراء والمعراج الإسلامية فقد تأثر بتأثرات فارسية زارادشتية. فمن يقرأ كتاب (محمد سليم الجندي) بعنوان (الجامع في أخبار ابي العلاء) يقرأ ما يلي: (إن أبا العلاء قد اطلع على الديانات من إسلامية ونصرانية ويهودية ومجوسية وغيرها إطلاعاً واسعاً) كما نقرأ في الكتاب نفسه في الحاشية ص/1253ـ1254/ أن المعري قد عاشر الفرس في بغداد واطلع على مذهب المجوس كما اطلع على مذهبهم من خلال كتب الشريعة الإسلامية أيضاً. ثم يضيف قائلاً:/109/ (إن المعري اعتقد بالظلام والنور مثل قول بعض الفلاسفة بأن الله خلق الزمان ليلا ثم جعل بعضه نهاراً بإحداث الإشراق فيه فيقول:

والنور في حكم الخواطر محدث والأولي هو الزمان المظلم

/110/ ثم يورد في الصفحة /1398/ شعراً لأبي العلاء يؤكد فيه أنه اطلع على عادات الفرس اليومية.

وقد تفرست فيك الفهم ملتهبا

من كل وجه كنار الفرس في السَّذق/111/

ويقول حول معتقداتهم بشأن الزواج ص/1399/:

بنات العم تأباها النصارى وبالأخوات أعرسن المجوس

ثم يقول:

سألت مجوساً عن حقيقة أمرها فقالت نعم لا تنكح الأخوات

وذلك في أصل التمجس زائد ولكن عددناها من الهفوات/112/

ناهيك عن تحدثه في كل من النسخ والمسخ والفسخ والرسخ /113/ ألا يدل ما ذكرناه ـ وهو غيض من فيض ـ على أن المعري نفسه قد عب من التراث الفارسي حتى الثمالة؟. وهذا ليس عيباً فاللغة العربة من مبدأ المثاقفه تأثرت باللغة الفارسية ـ والفارسية تأثرت بالعربية أيضاً ـ (فردوس، استبرق، سندس...الخ..)

جماعة القول: إن (زارادشت) سواء أكان نبياً أم مصلحاً أم حكيماً، سَمِّهِ ما شئت، فإنه حاول أن يفلسف الدين حسب مفهوم عصره آنذاك وأن ينتقل به إلى مرحلة

التطبيق الأخلاقي. لقد أخذ (زارادشت) سَمْتَ القدم فتأرض وأخذ سمت الرأس فتسامى لقناعته بأن الإنسان إله يتأنسن هابطاً قبل أن يكون إنساناً يتأله صاعداً. لذا فقد طالب أتباعه بأن ينشروا على هذه البسيطة النور والخير والحب والعدل والسلام وأن يتجنبوا الظلام والشر والبغضاء والجور وسفك الدماء. والأديان جميعها سواء أكانت طوطمية أم توحيدية، تنزيلية أم وضعية. فأنها تسير وفق خطين متوازيين.

الخط الأول: علاقة الإنسان بمعبوده.

الخط الثاني: علاقة الإنسان بالإنسان.

فمن حيث الخط الأول: قد تختلف في تصوير معبودها توحيدية أو ثنوية أو تثليثية أو طوطمية، لكنها ما اختلفت يوما في الخط الثاني من حيث علاقة الإنسان بالإنسان لأنها كلها دعوة إلى الحب والخير وتحريم القتل وتجريم سفك الدم. فأول وصية جاء بها موسى: لاتقتل. وبوذا يقول: لا تقتل روحاً، والجينية تقول (روح الحكمة أن لاتقتل حياً)، وتقول الهندوسية: (الحب الحقيقي هو أن تحب كما يحب الله الأشياء كلها)، ونقرأ في الدامايادا:/114/ (البغضاء لا تتلاشى بالبغضاء دائماً وإنما بالحب، ذلك هو الدستور الخالد)، ويقول كونفوشيوس: (لا تصنع بالآخرين ما لا تحب أن يصنعه بك الآخرون)، ويقول السيد المسيح: (أحبوا أعداكم باركوا لا عنيكم أحسنوا إلى من أساء إليكم)، ووصية بولس (وصية جديدة أوصيها لكم أن تحبوا بعضكم بعضاً)، والإسلام (ومن قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً) و(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، (من آذى ذمياً فقد آذاني) ولو انتقل الجميع بمعتقداتهم إلى مرحلة التطبيق الأخلاقي ممارسة وسلوكاً لتوقف هذا الذبح الإثني الديني المحموم في كل مكان، وتوقفت حمامات الدم في سائر أرجاء العالم. هذا الدم الذي لم يستطع (زارادشت) رؤيته فخاطب (اهورامزدا) في اليسنا (48ـ21) قائلا: / 115/ (متى تحجب يا أهورامزدا هذه الرائحة الكريهة.. هذا السائل الدموي؟) كما طالب بإنزال العقوبة الفورية على الأشرار لعل الطيبين ينالون ما يستحقون في الحياة الدنيا. ونحن نقول: مادام خيرك ينفعني ولا يضرك وشرك يضرني ولا ينفعك، فلماذا لا تقدم لي ـ وأقدم

لك الحب ـ على طبق من ورد؟ لنكن المجددين لهذا الوجود كما قال (زارادشت) في اليسنا (30ـ19): (ألا يمكن لنا أن نكون أولئك الذين يجددون هذا الوجود؟)[لخ].

المصادر والمراجع

1 ـ أطلق محمد إقبال في ديوانه الشعري (جناح جبريل) ص /11ـ12/على نيتشه كلمة (المجذوب) الذي أنكر الله انتقاماً لأنه لم يجده. فقال إقبال إنه الحلاج دون صلب وكأمية بن الصلت (آمن قلبه وكفر عقله).

2 ـ لقد ذكر اليهود في (بروتوكولاتهم) بأنهم العرق المتميز القاهر وغيرهم من الغوييم دائما طبيعتهم مقهورة، وإذا ظهر مبدع يوماً ما في صفوف الغوييم فإن ذلك عن طريق الصدفة ليس إلا.

3 ـ هكذا تكلم (زارادشت) فريدريك نيتشه ص/7/ وكتبه عام /1883ـ1885/ م وهناك تضاد بين ما قاله نيتشه وبين ما دعى إليه (زارادشت) إذ تأثر نيتشه بفلسفة (شوبنهور) الفيلسوف الألماني /1798ـ1860/ الذي قال: (إن الأديان امتداد للتفسير البدائي الذي كان يفهم كل شيء من خلال السحر والخرافة. كما أعلن عن موت الإله... وسمى نيتشه نفسه عدو المسيح على الرغم من أن أصدقاءه في صغره شبهوه بالمسيح لبراءته وحبه للخير. انظر كتاب فلاسفة الشرق والغرب. مصطفى غالب ص/334/.

4 ـ إعلام المسرح الأوربي د. محمد غلاب / ص 13/.

5 ـ (اينشتاين) فيزيائي ألماني /1879ـ1955/ م.

6 ـ علم النفس الجديد ـ بيير داكو / ص18/.

7 ـ شاعر مصري قديم /565ـ470 / ق.م.

8 ـ شانكار شاعر عاش سنة /200/ ق. م.

9 ـ التخيل للمشخص والتذهن للمجرد.

(1) في الحواشي هناك بعض ما يفيد الموضوع غنى.

obeikandi.com

10ـ تذكرنا حيرته بحيرة إبراهيم / ع / فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال: هذا ربي فلما أفل قال: لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال: هذا ربي فلما أفل قال: لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال: هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال: يا قوم إنني بريئ مما تشركون. وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين.) (الأنعام ـ 76ـ77ـ78ـ79).

11 ـ كان الإغريق يسمون بلاد فارس (بيرسيس) ولم يظهر لفارس شأن إلا في عهد (كوروش) /558 ـ 530/ ق.م وهو الذي قضى على الميديين /538/ ق.م وعلى بابل /539/ وحرر اليهود بعد أن أسرهم (بختنصر). وجد الأسرة الأخمينية اسمه (هاخمين) ثم جاء من بعده (قورش) ف (قمبيز) ثم (دارا الأول) ثم (ثانويون) ف (ارتخشيارش الأول) ثم (دارا الثاني) ثم (ارتخشياش الثاني والثالث) الذي في عهده سقطت إيران. انظر كتاب (قصة الأدب الفارسي) حامد عبد القادر (جزء 1 ص 28).

12 ـ الطوطمية : واحدة من أقدم الديانات في المجتمع المشاعي البدائي (وهي عبادة حيوان ما) واستعمله كمصطلح لأول مرة (جون لونغ) في نهاية القرن الثامن عشر.

13 ـ فجر الإسلام ـ أحمد أمين (جزء أول ص 117).

14ـ المصدر نفسه ص /120/.

15 ـ زارادشت الحكيم ـ حامد عبد القادر (ص 20).

16 ـ (الهوما) شرحناه من قبل ـ وهو شراب مسكر يعصر من نبات وينمو عند الإيرانيين على رؤوس الجبال ولم يحرمه (زارادشت) وظل يقدم قربانا إلى الآلهة. انظر كتاب قصة الحضارة ـ ول ديورانت الجزء الثاني / ص 423 / كما نلحظ هنا ما للعجل من تأثر عند العصاة من قوم موسى (قصة العجل السامري بعد عودة موسى من عند ربه) (طه من 84 إلى 97).

17 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. جزء أول / ص 134/ وسبنسر إنكليزي في أعلام المدرسة الوصفية / 1820ـ1903/.

18 ـ وبعضهم يقول في خوارزمي وبعضهم في بكتريا ثم نشر دعوته في (بلخ ـ بايران).

19 ـ كتاب إيران ـ شعوب العالم، تأليف حسن محمد جوهر ـ محمد مرسي أبو الليل / ص 8/ ويقال إن إيران سميت بذلك باسم أحد ملوك البيشداديين وهو (إيران) والمعروف باسم (هو شفك بن سياميك بن كيوميرت) أول ملوك البيشداديين. انظر كتاب زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر / ص 10/.

20ـ وهو الجنس المعروف ب (الهندو ـ أوربي) ولقد انقسم هذا الجنس منذ فجر التاريخ إلى قسمين عظيمين انتشر أحدهما غرباً واستقر في أنحاء أوروبا المختلفة والقسم الآخر هو الجنس الآري وقد انقسم بدوره إلى شعبتين استقرت إحداهما في ما يعرف بالهند واستقرت الأخرى في ما

obeikandi.com

يسمى بفارس وهو ما يعرف اليوم بإيران. و(الميتانيون) أول الشعوب الهندو أوروبية. وهم الذين قضوا على الدولة الأشورية. أنظر قصة الحضارة. ول ديورانت / جزء أول ص 300/ وكتاب الحكماء الثلاثة احمد الشنتاوي ص /9ـ10/ ويرى الفردوسي في الشاهنامه أنه حكم إيران قبل الإسلام أربع دول: البيشدادية وأول ملوك البيشداديين هو كيوميرت الذي يقرر مؤلف الأبستاق أنه أبو البشر الذي تسميه الكتب الأخرى بـ (آدم).

21 ـ أهم الأمور: أن النار التي قدسها الفرس قد قد سها البراهمة من قبل والبراهمة أتت على أنقاض)(الفيدا) التي وجدت /15 / ق.م للمزيد راجع كتاب ترميزالعقل الأول فيصل مفلح)(جزء أول ص 117) وقد أخذ البراهمة النار عن أتباع إبراهيم (ع) لأن النار لم تحرقه فقدست النار. ومع مرور الزمن بولغ في احترامها حتى عبدوها ونسوا السبب الذي من أجله قدست النار وتحولت من وسيلة إلى غاية. راجع كتاب دين إبراهيم سلسة الأديان العالمية. هاشم الدفتردار ـ المدني ومحمد علي الزعبي (ص 107) ثم يضيف قائلاً: (كم من رسول أو رباني ظهر فاحترموه وبالغوا في احترامه حتى سلخوه عن إنسانيته وألبسوه ثوب الألوهة ونسوا الله الذي من أجله احترموه.) ثم أن (زارادشت) قد حرم اللواط في الأبستاق ونحن إذا ما عدنا إلى الآية الكريمة (العنكبوت 29) (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين) نجد هنا أن قوم لوط هم أول من ارتكب الفاحشة اللواط وإتيان الذكران شهوة من دون النساء، ونحن نعرف تاريخياً أن لوطاً كان مع عمه إبراهيم وتزامن وجودهما في القرن التاسع عشر ق. م وإبراهيم هو الذي سمى ابن أخيه لوطاً لأن حبه لاط بقلبه ويقول الأبستاق عن اللواط (اللواط لا يمحوه شيء قط) وإذا وجد في الألف ق.م فإنه بذلك يكون قد عاصر إما داوود أو ابنه سيلمان.

22 ـ بذلك يكون قد عاصر إشعيا وعاموس ـ أنبياء التوراة. ومما قيل في مولده: قال فيثاغورث معتمداً على أرسطو: إن (زارادشت) وجد قبل أفلاطون /570ـ500/ ق. م أي بستة آلاف سنة ويقول (بلوتارك) (إنه عاش قبل حرب طروادة ويقول آخرون: إنه عاش في عهد الملكة(سمير أميس) ملكة نينوى وملكها (نينوس) /610ـ508/ ق.م ويحدد ميرسيا ايلياد في كتابه تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية جزء ثانٍ / ص 337/ وجود زارادشت ما بين /610ـ582/ ق.م.

23 ـ وصيغتها باليونانية(**Zoroaster**) ويقال زارادشت وزارادشت.

24ـ وزاردشت (الشاهنامه).

25 ـ الحكماء الثلاثة. أحمد الشنتناوي.

26ـ مقارنة بين الأديان د. أحمد شبلي جزء 4.

27 ـ مصطلح تاريخ وأسطورة في آن معاً لأنها تتعلق بمكان واقعي وأشخاص حقيقيين ونقلت بالتواتر من جيل إلى جيل.

28 ـ هناك كثير من الألفاظ لاسم أمه وأبيه. أنظر زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر /ص 14ـ25ـ26/ وفي الفهرست لابن النديم ص 19.

29ـ قصة الحضارة. ول ديورانت جزء /2/ ص /424/ والنقل بتصرف.

30 ـ ويقول ميرسيا ايلياد في كتابه تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية إن اسمه (دوران سروان).

31 ـ نلحظ هنا أن قصة النار التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم قد عادت من جديد... في قصة زارادشت.

32 ـ تذكرنا هذه الحادثة بالحادثة التي جرت مع الرسول محمد (ص) لما فتحت (خيبر) وخلاصتها (إن امرأة يهودية سألت: أي عضو من الشاة يحب الرسول (ص) فقيل لها الذراع فأخذت الذراع ووضعت فيه سماً وأكثرت منه ثم أهدتها إلى النبي (ص) فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يستسغها فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة. وكان بشر بن البراء قد أكل منها فمات. (ونلحظ أن زارادشت قد لحظ ما في الطعام من قبل مذاقة!!؟؟).

33ـ نجد في كتاب تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية لميرسيا ايلياد أن اسمه (دوران سروان).

34ـ الطورانيون كما تقول الشاهنامة: ص /80/. أمم الشمال الهمجية التي كانت منذ أقدم الأزمنة وبالاً على إقليم إيران المتحضر، وكان دفعهم من أعظم ما عني به ملوك إيران في العصور كلها وهم كما يقول حامد عبد القادر في كتابه زارادشت الحكيم (فريق من التتار أو الأتراك كانوا يقيمون في الإقليم المسمى الآن بـ (تركستان).

35ـ جميل أن أذكر هنا جملة قالها زارادشت نقلاً عن أهورامزدا فيما يتعلق بالوطن إذ قال: (لقد جعلت كل أرض عزيزة على أهلها ولو كانت جرداء من أي فتنة ولولا ذلك لاحتلت إيران سائر الدنيا) والفرس يرون أنفسهم أنهم خير الناس جميعاً من سائر الوجوه. ويعتقدون أن غيرهم من الأمم تدنو من الكمال بقدر ما تقرب موقعها الجغرافي من بلاد فارس وأن شر الناس هم أبعدهم عنها. انظر قصة الحضارة. ول ديورانت جزء /2/ ص /432/ ونحمد الله أن هذه القوة قد وضعت وكرست كل إمكانياتها وطاقاتها لخدمة القضايا العربية وذلك بعد الثورة الإسلامية الإيرانية.

36 ـ كان عند(سقراط) طالب ذكي يحبه كثيراً لكن ما سأل (سقراط) تلاميذه يوماً سؤالاً وتصدر هذا الطالب للإجابة مرة. فقال له: سقراط ذات يوم (يا هذا تكلم حتى أراك) وهذا يعني أن المرء لا يسمع فقط من خلال الكلام، بل ويرى من خلاله أيضاً وهذا يذكرنا بقول سيدنا علي (ر) (تكلموا فالمرء مخبوء تحت لسانه).

37 ـ نلحظ هنا عدم تحريم (زارادشت) تعدد الزوجات الذي لم تقره (المسيحية) وأقره (الإسلام) فيما بعد.

38 ـ فجر الإسلام. أحمد أمين جزء أول ص /122/.

39 ـ زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر ص /4/.

40 ـ ك(ول ديورانت) و(ميرسيا ايلياد) في موسوعة لاورس اعتبر مصلحاً لكن بعد نزول الوحي عليه اعتبر نبياً.

41 ـ د. أحمد شبلي. مقارنة بين الأديان جزء /4/ وأحمد أمين في كتابه فجر الإسلام ص /118/ وطه الشافعي في كتابه مروج الذهب ص /136/ وبطرس البستاني في دائرة معارفه ص /197ـ198/ وغيرهم.

42ـ انظر كتاب دين إبراهيم ـ هاشم الدفتردار المدني ـ محمد علي الزعبي ص /194/

43 ـ الكتاب والقران د. م محمد شحرور

44 ـ من يقرأ كتاب (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدي الليلة السادسة من ص/70 إلى 96/ يجد رد التوحيدي على (الجيهاني) الذي ذم في كتابه العرب ومدح الفرس. ويقرأ أيضاً بأن التوحيدي لم يكذب نبوة زارادشت فقط بل حمل على مصدقي نبوته لاعتقاده بوجود إلهين وتحليله (نيك) ـ وعذرا لأني نقلتها كما وردت ـ الأمهات والأخوات والبنات. ثم أورد حديثاً عن الرسول (ص) يقول فيه: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب). ولقد فهم التوحيدي من هذا الحديث أنهم ليسوا أصحاب كتاب. وإن لم يحمل هذا الحديث الشريف معنى ضمنيا بأنهم أهل كتاب فإنه طالبهم بأن يعاملوهم معاملة أهل الكتاب. وسيدنا علي (ر) يقول: (المجوس أصلهم أهل كتاب) وهذا يعني قبل أن يحرف المجوس دين (زارادشت). كما أجاز جعفر الصادق نكاح المجوسيات. انظر كتابي فجر الإسلام لأحمد أمين ص /120/ وكتاب دين إبراهيم ـ هاشم الدفتردار المدني ومحمد علي الزعبي ص /25/. وهناك ـ كما اعتقد ـ فرق بين ما نادى به (زارادشت) وما فعله المجوس المتأخرون. ولعل المقصود بالآية الكريمة (المجوس) وليس (زارادشت) (الحج 17) (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس الذين أشركوا. إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد) و(الشهرستاني) في كتابه (الملل والنحل) ص /551/ قال: إن لهم شبه كتاب ويعني (الجاتاس).

45ـ يذكرنا هذا بالحديث الشريف القائل: أنه لما سئل الرسول محمد (ص) عن الله فقال: (نوراني أراه).

46 ـ الزواج بالأقارب كان يمارسه الملوك سابقاً حيث كان الملك يتزوج أمه أو أبنته حفاظا على الدم الملكي نقياً خالصاً. قصة الحضارة ول ديورانت جزء /1/ ص /79/. وقال عمر بن الخطاب (اغتربوا لا تضووا) ويذكر أنه لما مر عمر بن الخطاب (ر) جماعة من قريش ضعاف الأجساد سألهم: مالكم؟ قالوا: قرب آبائنا من أمهاتنا. قال: (تزوجوا من الأباعد وأنجبوا).

47ـ يقال: إن زارادشت رأى رؤيا قبل عشر سنوات أن ابن عمه هذا يقود جيشاً عرمرماً ويحارب في سبيل الحق وينتهي أمره بانتصاره على أعدائه.

48ـ وزوده (شاثرا) بالمعلومات والأسرار الخاصة بالمعادن وأطلعه (أرميتي)على أحوال البلاد والأقاليم المختلفة.. ولقنه (هوزقتات) المعلومات المتعلقة بالحياة وكيفية استعمالها والإفادة منها وزودة (أمرقات) بالمعلومات الخاصة بعلم النبات وهكذا..... وقد جاء في المصادر البهلوية المتأخرة أن هؤلاء الملائكة قد فاض الواحد منهم عن الأخر أي أن (أهورامزدا) لم يخلق سوى (فوهومناه) فقط (و ـ فوهمناه) فاض عن الآخر والآخر فاض عن غيره وهكذا... ونرى أن هذه الفكرة ليست بعيدة عما جاء في العهد القديم... والقرآن الكريم أيضا (حول خلق حواء من ضلع آدم.. لأن الخلق الأول للإنسان كان بيد الله من التراب ثم خلقت حواء من ضلع آدم قبل أن يتم خلق الإنسان.. بإرادة الله ـ عن طريق الإنسان من خلال الزواج.

49 ـ المزدية: نسبة إلى (مزدا) وتخطيء كثير من الكتب أثناء طباعتها فتكتب (المزدكية) نسبة إلى (مزدك) الذي جعل المال والنساء وكل شيء مباحا للجميع كالماء والكلأ والنار. والفرق بين المصطلحين كبيراً جداً.

50 ـ زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر ص /50/.

51ـ تقول الشاهنامه في الجزء الأول ص /323/ إنه خامس ملوك الساسانيين وإنه حكم /120/سنة. ومنهم من يرى أنها سنوات كاملة ومنهم من يرى أنها شهور لأن السنة في نظر القدماء كانت تساوي شهراً. وأبو العلاء المعري كان يقول:

ورووا للمعمرين أمورا لست أدري ما هن في المشهور

أتراهم بما تقضى من الأيـ ـا عدوا سنينهم بالشهور

كلما لاح للعيون هلاك كان عاماً لديهم في الشهور

52ـ كاعتراض (أهريمان) طريقه ليثنيه عن عزمه لكنه ما أن قرأ فصلاً من (الأبستاق) حتى فرَّ هو وأتباعه من أمامه. كما أنبت شجرة أمام باب قصر الملك فور وصوله إليه علاوة على حمله كرة من نار قدمها للملك ثم لحاشيته فلم تحرق الكرة أحداً.. وهكذا.. كما كان ينبىء بموت فلان في يوم كذا وبولادة فلان في يوم كذا.. وخورا ق أخرى.

53 ـ ويروي حامد عبد القادر في كتابه (زارادشت الحكيم) ص/103ـ104/ قصة سجن (اسفنديار) لتآمر أخيه عليه. وعندما هجم الطورانيون واحتلوا أكثر البلاد حاول الوزير (جاماسب) أقناع الملك (كشتاسب) بالإفراج عن أبنه لصد الأعداء لمهارته في قيادة الجيش ففعل وصد الأعداء.

54 ـ ولذا فإن الكتاب المتأخرين يؤرخون حياة (زارادشت) ابتداء من هذه اللحظة أي في /31/ من عهد الملك (كشتاسب) أول سنة من تاريخ الديانة الزارادشتية في /15/ (ارتفاهستو) /5/ أيار سنة /630/ ق.م و(هو عيد النيروز).

55ـ الجزء الثاني ص /425/.

56 ـ ويقول (بطرس البستاني) في دائرة معارفه: إنه لما شاخ اعتزل الناس في جبل (البرزوا) وبقي في عزلته حتى أدركته المنية.

57 ـ الملل والنحل لأبن حزم (جزء أول) ص /115/.

58 ـ زارادشت الحكيم ـ حامد عبد القادر ص /66/ وأيضاً في المعتقدات الدينية لدى الشعوب تحرير جيفري بارندر ص /187/.

59 ـ وهذه الأسرة حكمت ما بين /226ـ652/ ب.م تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية مرسيا ايلياد ج /3/ وتقول الشاهنامة أيضاً: في الجزء الثاني / ص 301ـ324ـ326ـ391/ أنه لما قتل دارا بن دارا كان له ولد عاقل يسمى (ساسان) فلما رأى ما حل بأبيه هرب (ساسان) أيضاً فسمي بهذا الاسم كل ولد منهم.

60 ـ ويقال سبعة وهم الفضائل العليا (الحكمة، الشجاعة، الفقه، العدل، الإخلاص، الأمانة، الكرم) انظر قصة الأدب الفارسي حامد عبد القادر. جزء أول ص /3/ ويقال سته (تفكير طيب. الحق الأسمى، العمل الطيب). ذكور (فداء، خلود، تقوى) إناث. أنظر كتاب زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر ص /45/.

61 ـ (الأخمينيون) أسرة حكمت بلاد فارس أكثر من قرنين /550ـ330/ ق.م ويرجع اسمها إلى جدها الأكبر (أخمينيس) الذي كان حاكما على قسم جبلي بجنوب غرب إيران.

62ـ تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية. ميرسيا ايلياد (جزء3 ص).

63 ـ ويقال: إنه قتل الإنسان الأول لكن بذوره بقيت مخبأة تحت الأرض حتى نبت منها بعد أربعين سنة شجرة كبيرة خرج منها أول زوجين من البشر (ودروج ـ كبير أعوان أهريمان) ويقابله (أشا ـ العدالة ملك أهورامزدا). تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية ميرسيا ايلياد جزء 3 ص /226ـ227/ ويقول حامد عبد القادر في كتابه قصة الأدب الفارسي ص /31/ (إن قوى شيطانية كثيرة تعاون (أهريمان) مثل (الرذيلة، النفاق، الخديعة، الخيانة البخل، إزهاق الأرواح...)

64 ـ نسبة إلى مؤسسها (ماني ـ الفريد أو النادر) /226ـ236/ ب. م وديانته مزيج من (زارادشتية ويهودية ومسيحية) ادعى النبوة في بابل وسمى نفسه (باركيت ـ فارقليط) ـ أي المنقذ الذي بشر به السيد المسيح.

65ـ زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر ص /83/.

66 ـ وقوى الخير في مملكة (أهورامزدا) ليست مقصورة على الملائكة والكائنات الروحانية، لكنها أيضاً تمثل الكائنات المادية وأنواع الحيوانات النافعة للإنسان وتمثل الإنسان أيضاً فهم جميعاً يقفون مع (أهورامزدا) بينما (المانويون) يرون أن امتزاج النور بالظلام الذي نشأ عنه وجود الكائنات المادية والظواهر الصحية هو شر كله وأنه نتيجة قوى الشر ليس في هذا العالم من خير والزارادشتية أيضا دعوة إلى الكفاح والصراع في سبيل الحياة بينما المانوية استسلامية تقشفية تنبذ الدنيا وما فيها من ملذات ص/60ـ61ـ62/. ويضيف حامد عبد القادر في كتابه قصة الأدب الفارسي جزء أول ص /56/ ما يلي: (وكان هذان المبدءان في المانوية أول الأمر منفصلين مستقلين متلاصقين ملاصقة الضوء للظل وما دامـا منفصلين لم تحدث في الكون كوارث. فلم تنشأ الظواهر الطبيعية ولم تنشأ الكائنات الحية ولا الجمادات ثم امتزجا فنشأ عن امتزاجهما الكون. عالم من ظواهر وأحداث جسام وكأنها كثيفة وكائنات حية وكان الظلام هو البادىء بالامتزاج لأن النور خير بطبيعتة فلا يبدأ بالاعتداء وإنما قال ماني بوجود هذين المبدأين لأن الخير والشر ضدان لا يصدران عن شيء واحد. ألا ترى أن النار لا يصدر عنها الحرارة والبرودة وأن الجسم البارد لا تنشأ عنه البرودة والحرارة؟ وهذان المبدءان نشيطان فعالان إلى الأبد بدليل دوام صدور الخير عن إحداهما والشر عن الأخر. راجع الملل والنحل للشهرستاني ص/569 / إلى 618/ (وكتاب زارادشت الحكيم لحامد عبد القادر ص/82/). وللظلمة والنور في الإسلام معنيان: قريب، وبعيد ـ مجازي.

1. القريب منه ما هو تلميح عن طريق الليل والنهار (الأنبياء 33) (وجعلنا الليل والنهار آيتين)..(و هو الذي خلق الليل والنهار) وهكذا..

ومنه ما هو تصريح (الأنبياء 87ـ88) (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن يقدر عليه أحد فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين).

2. البعيد المجازي: (إبراهيم2) (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) (إبراهيم 4). ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) ثم (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون). و(الظلمات والنور هنا ـ أي إخراجهم عن الغي إلى الرشد، من الغواية إلى الهداية) ولعلنا من خلال الآيات الكريمات من سورة الحجر من (26 حتى 45) تتضح لنا أمور كثيرة. (و لقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم) من خلال الآيتين الكريمتين ندرك أن عملية الخلق الإلهي كانت من عنصرين

(النار والتراب) والسبق في الخلق كان من مادة النار وهاتان المادتان إن لم تكونا طاهرتين فإنهما غير دنستين بدليل الآية الكريمة:

(فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) وهذا يدل على أن التراب طاهر لا دنس. كما نجد في سورة الرحمن أيضاً (وخلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار) ثم تتابع الآيات الكريمات السابقات (وإذ قال ربك إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس: ما منعك ألا تكون مع الساجدين؟ قال: لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال: اخرج منها فأنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال: رب بما أغويتني لأزينين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين، قال: هذا سراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين. وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء معلوم. إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين..) نلحظ من خلال هذه الآيات الكريمات أن بدء الشر الذي يتعلق بالبشر فقط ابتدأ مع عصيان إبليس حين رفض السجود لآدم. وفي الإسلام لا توجد أزلية ولا أبدية إلا لله تعالى فقط.

67ـ ليس من المرجح ان يكون قد تم تدوينه قبل القرن الخامس الميلادي. (انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب تحرير جيفري بارندر ص /117/.

68 ـ ص /27/.

69 ـ تاريخ المعتقدات الدينية. مرسيا ايلياد (جزء 3 ص 376).

70 ـ هناك أبستاق قديم وأبستاق حديث. (انظر كتاب زارادشت الحكيم. حامد عبد القادر) ص /70/.

71 ـ قصة الأدب الفارسي ص /42/ وزارادشت الحكيم ص /72/ والكتابان لحامد عبد القادر.

72 ـ والمجوس (**magic**) كلمة يونانية الأصل (**magog**) أطلقها اليونان على كهنة (زارادشت) عندما دخلوا فارس بقيادة الإسكندر الأكبر والكلمة معناها (العظيم أو الهائل) ذلك لأنهم برعوا في السحر (**magic**) ولهذا اشتقت الكلمة الأوربية التي تعني السحر من اسمهم. انظر كتاب المعتقدات الدينية لدى الشعوب. تحرير جيفري بارندر ص /31 /. ويقول الشهرستاني في كتابه الملل والنحل. هذه الكلمة (المجوس) تطلق على من يعظم النار.

73 ـ اليسنا: ويسمى (الجاتاس) وتشمل أحاديث (زارادشت) وما أوحي إليه في عبارات موزونة، وهو قسم أدعية وصلوات، وهو كما تقول موسوعة لاروس: عبادة الأضاحي: مجموعة من الأناشيد منسجمة /91/ وتوجد فيها أسماء الأشخاص الذين تلقوا الوحي الإلهي بما فيهم والد (زارادشت) وما يجب أن يعلموه للناس والصلوات ضد الشياطين.

الفنديداد أو الونديداد: أو القانون المضاد للشياطين عشرون فصلاً، وهو حوار بين السيد الحكمة وتلميذه. كما تقول موسوعة لاروس: الفسبيرد ـ ملحق بالياسنا وشبيه به كتاب المزامير الزارادشتية وتقول موسوعة لاروس: حوار بين السيد والمصطفى عدده/22/ أخذت عن أهورامزدا.

أليست: أو التسبيحات الغنائية وهي أناشيد في مدح الملائكة المشرفين والأناشيد مهداة إلى أهورامزدا (موسوعة لاروس).

سيروزات: رقمه /30/ ذكر فيه ثلاثة من الرؤساء حسب أيام الشهر/5/ ياسنا هذه صلوات وأناشيد إلى (أهورامزدا) وآلهة الشرق القديم الهندية الآرية التي أصبحت الآن في خدمة السيد (يايو ـ مترا، وأناهيتا، وهوما) وهذه الديانات قبل الزارداشتية توجد في (الأفستا) احتفظ فيها ضمن إطار الوحدة الوطنية في حين كانت (الزارداشتية) قد أصبحت الديانة الرسمية للدولة وهناك (الخرد أبستاق ـ الأبستاق الصغير) وهو شعر في الأدعية والصلوات أو موجد الصلوات للموتى.

للمزيد راجع (دائرة المعارف للبستاني. وموسوعة لاروس فصل (زاراسترا) جزء /20/ ص /12878ـ12879/ وتروي بعض القصص الفارسية قصة أبستاق أكبر من هذا بكثير ويقع في /21/ كتاباً ويسمى واحدها (النسك) راجع قصة الحضارة. ول ديورانت ج/2/ ص /426/.

74 ـ يقول أحمد أمين في كتاب فجر الإسلام ص /119/ إنها سبع.

75ـ قصة الحضارة. ول ديورانت (ج/2/ ص /428/) كما نلحظ صدى لذلك في التوراة سفر التثنية إصحاح /2/ (ملعون من يضطجع مع زانية). ويقول القرآن الكريم: (و لا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً).

76 ـ كتاب دين إبراهيم. هاشم الدفتردار المدني وأحمد علي الزعبي ص /20/.

77 ـ ويقول القرآن الكريم (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

78 ـ والروح في الإسلام (إسراء 14) (و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي).

79 ـ وول ديورانت قصة الحضارة جزء أول ص / / كما نقرأ في كتاب الموت في الديانات الشرقية لحسين العودات ص /33/ نقرأ ما يلي (و الخلود كان محور الديانات الرافدية وآدابها ولكنها سرعان ما اكتشفت استحالة ما تصبوا إليه لأن (ايا) آلهة الحكمة قد علمت (أريدو) جميع العلوم ولم تخف عنه أسرارها إلا سراً واحداً هو سر الحياة الأبدية التي لا تنتهي بالموت).

80 ـ و كانت عادة رمي الجثث بعد الموت عادة مألوفة لدى أهل البادية من سكان الجزء الشرقي من إيران. انظر زارادشت الحكيم حامد عبد القادر ص /30/ (والتراب والنار ـ علاوة على الماء والهواء ـ المقدسان عند (زارادشت) نلحظ في العهد القديم ـ سفر التكوين أن عملية الخلق الأول(آدم) كانت من التراب. في القرآن الكريم أيضاً (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)(الروم 21) كما نلحظ أن خلق الإنسان والجان كان من هذين العنصرين (ولقد خلقنا

الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم) كما نلحظ أن عملية الخلق الثالثة ـ بعد خروج حواء من ضلع آدم كما ذكرنا آنفاً ـ كانت ـ بإذن الله ـ من ماء مهين عن طريق الإنسان بدليل الآية الكريمة (الغفران 54) ـ(هو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) (و السجدة /7ـ8/ـ وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) (وفاطر/11/ ـ والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً).

81 ـ في القرآن الكريم (النساء /87/ ـ أينما كنتم يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (والضحى /88/ ـ كل شيء هالك إلا وجهه) (والعنكبوت /75/ ـ كل نفس ذائقة الموت).

82 ـ الموت في الديانات الشرقية ـ حسين العودات ص /24/.

83ـ (وما من قول إلا لديه رقيب عتيد) قرآن كريم.

84 ـ الفارابي وابن سينا لم يؤمنا ببعث الأجسام. والحساب لن يحصل إلا للنفوس فقط ولم يوافقهما في ذلك الغزالي.

85 ـ ويوم الحق أو يوم القيامة ركز الإسلام كثيراً عليه (أحزاب /63/ـ ويسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) (والقصص /88/ ـ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً) (و الحج/7/ ـ إن الساعة آتية أكاد أخفيها) وكلمة أخفيها تحمل معنى الضدين 1 ـ أظهرها. 2 ـ أسترها.

86 ـ (و أما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاويه وما أدراك ماهية نار حامية).

87 ـ تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية. ميرسيا ايلياد ج/3/ ص /386/ وفي الإسلام (إن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (بقرة /213/) (اهدنا الصراط المستقيم).

88 ـ الأعراف /46/ (وعلى الأعراف رجال يعرف كلاً بسيماهم.. ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) وعقيدة المسلمين في (الصراط ـ الأعراف) تشبه الزارداشتية حسب رأى أحمد أمين في فجر الإسلام ص /101ـ104/.

89 ـ حكمة الأديان الحية ـ تحرير جيفري بارندر ص /12/.

90 ـ فجر الإسلام. أحمد أمين. جزء أول ص /121/.

91ـ المصدر نفسه ص /122/.

92 ـ قصة الأدب الفارسي حمدي عبد القادر جزء أول ص /36/.

وزارادشت الحكيم. حمدي عبد القادر جزء أول ص /87/.

93ـ تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية جزء ثانٍ ص /382ـ399/.

94 ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب تحرير جيفري بارندر ص /122/.

95 ـ ولهم أيضاً طقوس تذكرهم بدينهم وهي جزء من زيهم اليومي إذ يعقدون مرات عدة في اليوم خيطاً مقدساً مكوناً من /72/ خيطاً ويرمز ذلك العدد إلى أسفار (اليسنا) وذلك تعبير عن التصميم الديني.

العزم الأخلاقي ويغسل المرء وجهه ويديه قبل أن يلمسه (انظر زارادشت الحكيم. حمدي عبد القادر ص /41/).

96 ـ أي أنه لم يبق لنهاية العالم حسب المعتقد الزاردشتي إلا حوالي /9300/سنة والقرآن الكريم يقول (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) (اقتربت الساعة وانشق القمر) (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) وقوله (ص) (بعثت والساعة كهاتين) وفرج بين إصبعيه.

97 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت. جزء ثانٍ ص /439 /.

98 ـ انظر كتاب خطباء صنعوا التاريخ. أنور أحمد سلسة اقرأ المصرية.

99 ـ مجلة عالم الفكر الكويتية مجلد /6/ عدد/2/ تموز، آب، أيلول عام /1975/ ص /49/. ص العدد /369/. فقال للتصوف إيجابياته وسلبياته. أحمد محمود صبحي.

100ـ فلاسفة الشرق والغرب. مصطفى غالب ص /299/.

101 ـ المصدر نفسه ص /299/.

102 ـ من ص /125/ إلى ص /128/.

103 ـ /1871ـ1944/ وطرحه نظريته عام /1919/.

104 ـ عاش في اواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر م.

105 ـ 525 /هو/1131/م.

106 ـ ص /22/.

107ـ ص /55ـ56/.

108 ـ ص/23/.

109ـ ص /1284/.

110ـ نقرأ في سورة يس /37/ (و آية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون).

111 ـ عيد للفرس يوقدون فيه النيران وهو العاشر من شهر(بيهمن ماه).

112ـ السيسانية: صنف من المجوس ورئيسهم يقال له (خواق) خرج أيام أبي مسلم وكان (زمزمياً) يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعا المجوس إلى ترك الزمزمة ورفض عبادة النار، ووضع لهم كتابا

أمرهم فيه بإرسال الشعور، وحرم الأمهات والبنات والأخوات والخمر. وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة.. للمزيد راجع كتاب الجامع في أخبار أبي العلاء المعري ج /3/ ص /1399/.

113 ـ النسخ: خلق الروح في إنسان آخر، المسخ: قلب إنسان إلى حيوان الفسخ: التحويل إلى نبات، الرسخ: التحويل إلى حمار.

114 ـ ملحمة البوذيين المقدسة.

115ـ تاريخ المعتقدات في الأفكار الدينية. ميرسيا ايلياد ج/3/ ص /38/ وللمزيد عن (زارادشت) راجع موسوعة (لاوس) جزء /20/ ص/12878 ـ 12879/.

تجليات (لاوتسه) وتعاليم (كونفوشيوس)

يقول (فولتير) عن الصين: (لقد دامت هذه الإمبراطورية أربعة آلاف عام من غير أن يطرأ عليها تغير يذكر في القوانين والعادات أو اللغة أو في أزياء الأهلين وإن نظام هذه الإمبراطورية لهو في الحق خير ما شهده العالم من نظم) /1/.

obeikandl.com